﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: 35]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن ذكر الله تعالى أنموذجًا من اصطفاء الأنبياء، وجعل آخر ذلك اصطفاء آل عمران، ناسبَ الحديث عن عيسى عليه السلام وبيان أنّه من جملة المُصطَفَين الأخيار الَّذين اصطفاهم الله لرسالته إلى البشر، وأوحى إليهم بشريعته، فبدأ بذكر عجائب إرهاصات نُبوَّته منذ أن نذرت امرأةُ عمران ابنتها مريم عليها السلام لبيت المقدس ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾، ونشأت تحت رعايته نشأةً صالحة، فكان يأتيها رزقها من عند الله، حتى تحقّقت المعجزةُ وولادة عيسى عليه السلام وما تبع ذلك من المعجزات العظيمة، فقد كانت حياتُه عليه السلام محفوفةً بالمعجزات حافلةً بالكرامات.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَذَرْتُ﴾: جذر الكلمة هو (نَذَرَ)، والنَّذْر: أن تُوجِب على نفسك ما ليس بواجب لحدوثِ أمر، يقال: نَذَرْتُ لله أمرًا، وجمعه: نُذُور، وقد نذر على نفسه ينذُرُ وينذِرُ نَذْرًا ونُذورًا، والنَّذيرةُ ما تعطيه، والنَّذيرة أيضًا: الابن يجعله أبواه قيِّمًا أو خادمًا لكنيسةٍ، وقد نذره، وفي التَّنزيل: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، والنَّذيرُ: اسمُ الشَّيء الَّذي يُعطَى، ورُبَّما جَعَلَتِ اليهوديَّةُ وَلَدَها نَذيرًا للكنيسة، والجمع: النَّذائر.

والنَّذْر: اسمُ الإنذار، والنُّذُر: جماعة النَّذير، وتقول: أنذَرْتُهم، فنُذِروا، والتَّناذُر: إنذار بعضِهم بعضًا، والَّذي جاء في القرآن من هذا التَّركيب على وجهين: الأوَّل النَّذْر: إيجاب شيء على النَّفس، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾، الثَّاني الإنذار: بمعنى: التَّحذير من مكروه سيقع[1].

2) ﴿مُحَرَّرًا﴾: جذر الكلمة هو (حرر)، والمحرَّر: الَّذي جُعل حرًّا خالصًا، يقال: حرَّرتُ

(1) الخليل، العين: وابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نذر).

العبد؛ إذا خلَّصته عن الرِّقِّ، وحرَّرتُ الكتاب؛ إذا أصلحته وخلَّصته، فلم تُبقِ فيه شيئًا من وجوه الغَلَط، ورجل حرٌّ؛ إذا كان خالصًا لنفسه، ليس لأحد عليه تعلُّق، والطِّين الحرُّ: الخالصُ عن الرَّمل والحجارة والحَمْأة والعيوب[1].

وَالحرُّ: مَا خَالَفَ الْعُبُودِيَّةَ، وَبَرِئَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ، خلافُ العَبْد، وَفِي التَّنْزِيل: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾، يُقَال: إِنَّهَا أَرَادَت أَنَّه خَادِم لَك، وَهُوَ حرٌّ[2]، حُرٌّ بَيِّنُ الحُرُورِيَّة والحُرِّيَّة، والحرار والحرارة: سحابة حُرَّة من كثرة المطر، والمُحَرَّرُ في بني إسرائيل: النَّذيرة، كانوا يجعلون الولد نذيرةً لخدمة الكنيسة ما عاشَ لا يَسَعُه تركه في دينهم، والحرُّ: فعل حَسَن في قول طَرَفة:

لا يكنْ حبُّكَ داءً قاتلًا *** ليس هذا منكِ ماويَّ بحُرّ

والحُرِّيَّةُ من النَّاس: خِيارُهم، والحُرُّ من كلِّ شيءٍ: أعتَقُه[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تُبيِّنُ الآيةُ ما جَرى لمريمَ والدةِ عيسى، وكيف لَطَفَ الله بها في تربيتها ونشأتِها، فاذْكرْ - أيُّها الرَّسولُ - ما كان مِن أمر مريمَ وأمِّها وابنِها عيسى عليه السلام لتردَّ بذلك على من ادَّعَوا أُلوهيَّةَ عيسى أو بُنوَّته لله سبحانه؛ إذ قالت امرأةُ عِمْران حين حَمَلت: يا ربِّ؛ إنِّي جعلتُ لك ما في بَطْني خالصًا لك، لخدمةِ (بيت المقدس)، فتقبَّل منِّي، إنَّك أنتَ وحدكَ السَّميعُ لدعائي، فلا يسمع أحدٌ قولي مثلك، العليمُ بنيَّتي، ولا يعلم أحدٌ نيَّتي مثلَ علمِكَ، فإن كان فيهما شيءٌ لا يصلح؛ فتجاوز عنه[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاستئناف بالظَّرف:

فـ﴿إِذْ﴾ ظرف للمضيِّ في أصل وضعها[5]، وهو متعلِّق بما قبله، والتَّقدير: والله سميع

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/23.
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حرر).
(3) الخليل، كتاب العين: (حرر).
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 4/351، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 54، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 54.
(5) فاضل السّامرّائي، معاني النحو: 3/177.

الاهتمام بالخبر تقرير للاصطفاء وبيان لكيفيّته

عليم؛ إذ قالت امرأة عمران هذا القول[1]، فذِكْر قوله: ﴿وَٱللَّـهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ اقتضى الانتظار لسبب ذكر هاتين الصِّفتين للحقِّ تبارك وتعالى، فيأتي الجواب: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾[2]، وَيَجُوزُ أَن تتَعَلَّق بـ (اذكر) مَحْذُوفًا[3]، ويكون من باب توجيه التَّذكيرِ إلى الأوقات مع أنَّ المقصودَ تذكيرُ ما وقع فيها من الحوادث اهتمامًا بشأن تلك الأخبار والحوادث[4].

و﴿إِذْ﴾: واحدة من ظواهر القصَّة القرآنيَّة وخصائصها، وفائدة الَّذي يأتي بعد ﴿إِذْ﴾ تفصيل لجانب من القصَّة في لحظة زمنيَّة تتضمَّن قضيَّة مفصليَّة فارقة في القصَّة القرآنيَّة، فيكون بعد ﴿إِذْ﴾ حدث محوريٌّ يجلب النَّظر والتَّفكير إليه لأهميَّته، وأمثلتها في القرآن كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 29]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: 4]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: 111]، وقوله: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: 42]، وقوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: 11]، ففي كلِّ هذه المواضع – كما في أغلب مواضع ورودها في القصَّة القرآنيَّة – تحكي موضوعًا دقيقًا مفصّلًا يعدُّ هو الحدث الأهمَّ في القصَّة كلِّها، فتملأ العبارة بعد ﴿إِذْ﴾ مساحة القصّة في إيجاز معجز مذهل.

فائدة التَّعَرُّض لوصف الرُّبوبيَّة مع الإضافة في مقام النَّذر:

الرَّغبة في استجابة الدُّعاء بصلاح المربوب

التَّعرُّضُ لوصفِ الرُّبوبيَّةِ للإنباء عن إفاضة ما فيه صلاحُ المربوبِ، و﴿لَكَ﴾: سيقت للتَّعليل، والمُراد لخدمة بيتك، وفي الإضافة إلى الضَّمير في ﴿لَكَ﴾ مع تقديمه على الموصول: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾؛

(1) ابن جرير، جامع البيان: 6/393.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/21.
(3) الآلوسي: روح المعاني: 2/138.
(4) أبو السُّعود: إرشاد العقل السليم 2/27.

لكمال الاعتناءِ به، ولتحريك سلسلة الإجابة، ولذلك قيل: إذا أراد العبدُ أن يُستجابَ له دعاؤه؛ فليدعُ الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته، ولأجل هذا أُكِّدَ هذا الخبر بـ (إنَّ) لإبراز وفورِ الرَّغبة في مضمون النَّذر وقبوله[1].

سِرُّ التَّعبير عن الولد بـ﴿مَا﴾ بَدَلَ (من):

الدَّلالة على إبهام الولد وقصوره عن درجة العقلاء

فقوله: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ أتى بـ﴿مَا﴾ الَّتي لغير العاقلِ؛ لأنَّ ما في بطنها مُبْهَمٌ أمرُه، والمُبْهَم أمره: يجوز أن يُعَبَّر عنه بـ"ما"، فعُبِّر عن الولد بـ﴿مَا﴾ لإبهام أمرِه وقصورِه عن درجة العقلاء[2].

دلالة التَّقييد بالحال في ﴿مُحَرَّرًا﴾:

بيانُ صِدْقِ التَّقرُّبِ إليه تعالى والإخلاص فيه

قولها: ﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ على الحاليَّة من ﴿مَا﴾ الموصولة، وقيل: من ضميره في الصِّلة، والعامل معنى الاستقرار، فإنَّها في قوَّة ما استقرَّ في بطني، ولا يخفى أنَّ المراد تقييدُ فعلِها بالتَّحرير؛ ليحصُل به التَّقرُّبُ إليه تعالى، لا تقييد ما لا دخلَ لها فيه من الاستقرار في بطنها[3].

نكتة الدُّعاء بالقبول للنَّذر:

استدعاءٌ للولد وصلاحه

أي: ما نذرتُه، والتَّقبُّل: أخْذ الشَّيء على وجه الرِّضا، وهذا في الحقيقة استدعاءٌ للولد؛ إذ لا يُتصوَّر القَبولُ بدون تحقُّق المقبول، بل للولد الذَّكَرِ وقفًا له على الخدمة، فيكون المعنى: رَبِّ؛ إني نذرتُ لك ما في بطني، فاجعله ذَكَرًا.

ثُمَّ إنَّ امرأة عمران نذرت مطلقًا، إمَّا: لأنَّها بَنَت الأمر على التَّقدير، أو لأنَّها جعلت ذلك النَّذر وسيلة إلى طلب الذَّكر[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/27، والآلوسي: روح المعاني 2/129.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/27، وابن عادل: اللباب في علوم الكتاب: 5/171.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/23.
(4) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/23، والآلوسي: روح المعاني 2/129.

تكرار التَّذييل بقصر صفتَي السَّمع والعلم على الله تعالى:

فـ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، المعنى: إنَّك أنت السَّميع لتضرُّعي ودعائي وندائي، العليم بما في ضميري وقلبي ونيَّتي[1]، ونبَّه بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ ليناسب ذلك التَّضرُّع والدُّعاء، فإنَّك تسمع نذري، وتعلم حالي ونيَّتي، فتقبَّلْ منّي[2]، ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لجميع المسموعاتِ الَّتي من جُملتها تضرُّعي ودعائي، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بكلِّ المعلومات الَّتي من زمرتها ما في ضميري لا غير، وهو تعليلٌ لاستدعاء القبول، وتأكيدُ الجملة بـ ﴿أَنتَ﴾ لعرض قوَّةٍ يقينها بمضمونها، وقصرُ صفتَي السَّمعِ والعلم عليه تعالى؛ لعرض اختصاص دعائِها به تعالى، وانقطاعِ حبل رجائها عمَّا عداه بالكلِّيَّة مبالغةً في الضَّراعة والابتهال[3].

فقد قالت، كما قال سلفها إبراهيم وإسماعيل عليهما الصَّلاة والسَّلام: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: 127]، أي: فلا يسمع أحد قولي مثل سمعك[4]، ولا يعلم أحد نيَّتي مثل علمك.

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/23.
(2) الرَّاغب، تفسير الرّاغب: 2/531.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/27.
(4) البِقاعيُّ: نظم الدُّرر: 4/351.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»